التحنيط عند قدماء المصريين

(٢)

الجثة المحنطة والتوابيت(١)

ظهر مما سبق انّ فن التحنيط يرجع اكثر وصفهِ الى روايات (هيرودوت) و(ذيودوز) لان القسوس الذين عهد اليهم هذا الفن كانوا يكتمونهُ فلا يبيحون بشيء منهُ لاحد من غير طائفتهم وليس لدينا وسائل توصلنا الى معرفة حقيقتهِ سوى التحاليل الكيماوية التي اهتدينا بها الى معرفة العقاقير المستعملة عندهم . فاذا فتح التابوت وجدت فيهِ محفظة تستر الرأس او الجثة كلها وعليها صورة المعبودة (إزيس) اذا كانت الجثة لامرأة او صورة (أُزيرس) اذا كانت لرجل وهذه المحفظة او الغطاء صُنعت على هيئة الجثة من نسج الكتان والجبس معاً او من الخشب المطلي بالجبس وظاهرها مزين بالالوان الزاهرة . اما في عهد البطالسة فكانوا يموّهونها هي والاذنين بالذهب ويصنعون فيها العينين والجفنين والحاجبين من الزجاج او الفخار ويرسمون فوق الرأس صورة جُعل حاضناً بين يديهِ قرص الشمس . ويرسمون فوق المحفظة نفسها المعبودة (نوت) وهي رمز الى السماء وعلى احد جانبيها صورة (إزيس) وعلى الآخر صورة (نفتيس) وكلاهما زوجة المعبود (أُزيرس) واختهُ واحياناً يرسمون بعض المناظر التي في كتاب الموتى الدالة على ما تلاقيهِ الروح في الآخرة بعد الوفاة . وبالتأمل في هذه الرسوم يرى الانسان انها جعلت كاربطة منقوش عليها نصوص برباثية جعلان وعينان (رمز للحياة الازلية) وعقد في الجيد واساور في المعصم وبعض الاحيان يجد فيها نصًّا وافياً دالاً على ترجمة حياة الميت وما ابداهُ من الشجاعة والاعمال الخيرية او يجد بعض التوسلات او التمائم او قطعاً من العاج او العظم او الخشب او الطين تمثل هيئات سحرية يسميها المصريون (أُذا) اي عُوَذ جمع . ويرسم فوق التابوت بعض اشياء مما كان يستعملهُ الميت في حياتهِ كالات الحرب للجنود واللعب للاطفال الخ . هذا وقد وُجد مع المومياء تماثيل صغيرة ترشد الميت الى

(١) راجع شرح التوابيت في دليل المتحف المصري تأليف ماسبرو وترجمة والدي احمد بك كمال

لطريق الامين في الآخرة وتسمى بالمصرية (أشبتي) اي المجيبات للنداء حينما يدعى الميت لاعمال الحقول الاخروية

وعام ١٨٢٦ كتب الدكتور ڤرنوى Verneau الى (بسّالاكوا Passalaqua) وذكر النتائج التي استنتجها اثناء فحص الجثث المصرية فقال يجوز تقسيم هذه الجثث المحنطة الى قسمين

(١) قسم يشمل الجثث الثقيلة الصلبة الصعبة التشريح المملوءة في الداخل والخارج بالبلسم او بموادّ راتنجية في بعض الاحيان

(٢) وقسم يشمل الجثث الجافة القلوية التي يظهر عليها انها نقعت في ماء النطرون(١) . وخالف الدكتور (ڤرنوى) هيرودت القائل باستخراج الامعاء من فتحة الخاصرة لانهُ لم يعثر على هذه الفتحة في الجثث التي فحصها بل وجد فتحة حول الشرج تثبت ان المحنطين قذفوا منها الى الجوف بعض السوائل المذيبة للامعاء بالطريقة التي استعملوها لاخراج المواد المخية. قال الدكتور (فوكيه Fouquet) انهُ وجد في قرطاس (رند Rhind) نصاً هيرغليفيًّا خاصًّا بالتحنيط مكتوباً فيهِ خطاب للميت وتعريبهُ : إذهب من هذا المكان فسنعمل لك ثمان فتحات في ستة وثلاثين يوماً وعند اتمام هذه الفتحات تترك المحل (المعدّ لذلك) . ثم نعمل لك في حوض (خنسو) الكبير ما هو منصوص عنهُ لارسالك بعدئذٍ الى محلك في قاعة (تكسنت عا Tekent-a) اللازمة للسبعة عشر عضواً من جسدك المقدّس هذا. وهذه الفتحات هي سبع لرأسك واربع لصدرك واثنتان لرجليك واثنتان لذراعيك وواحدة لبطنك وواحدة لظهرك . وبذا يتمّ السبع عشرة فتحة بسبعين يوماً اه واكّد فوكيه انهُ وجد جميع هذه الفتحات في جثث الدير البحري

قال وظهر لنا بعد فحص جثة احد كهنة المعبود (امون رع) انها كانت غاية في الاتقان والحفظ وانها كانت تحيط بها اللفائف مرتين وهذه اللفائف كانت مطلية بالقار وينزعها شوهد ان القدمين والرجلين مبسوطتان ومتوازيتان وان الذراعين

(1) Catalogue raisonné et historique des Antiquités découverte en Egypte, Paris 1826 par M Passalaqua

(2) Bulletin de l'instit. Egypt - M 9 Mais 1896 et Tarychent et Coachyte p. 13 de M F. Revillont.

متضامّتان فوق اسفل البطن وكان الجلد ناعماً وحافظاً لحالتهِ الطبيعية وليس في الجثة أثر للشعر ما عدا اللحية والجمجمة والحاجبين وجفني العينين . فالشعر لا يزال باقياً فيها . أما الفم والخيشوم والعينان والاذنان فكانت تطلى بطبقة من الشمع النقي طلاء محكماً قد ذُرّ عليهِ مسحوق من صمغ السدر . وبنزع طبقة الشمع عن الفم شوهد ان الفكين متقابلان وان الشفتين تغير لونهما من الحمرة الى السواد بمرور الزمن عليهما . ولما رُفع الطلاء عن جفني العينين شوهد كرة صغيرة بحجم العين الطبيعية مرسوم عليها انسان العين وسائر اجزائها الظاهرة . وبفحص الانف شوهد في أعلاهُ أثر الفتحة التي استخرج منها المخ . أما شق البطن من الخاصرة اليسرى فكان يغطى عادة بطبقة من الشمع يذر عليها مسحوق راتنجي ومواد عطرية ثم قال وقد فحصت جثة أخرى قريبة العهد من الجثة السابقة فوجد في تجويف البطن مسحوقاً راتنجيًّا ووجدت الاحشاء ملويّة بعضها على بعض وربما كانت مغمورة بسوائل قلوية . وبهذه الطريقة يظهر ان العادة التي كانت متبعة عندهم دخلها بعض التغيير مع المحافظة على الرقبة والصدر والذراعين فأنهم ابقوها في مواضعها من الجسد وأما البشرة والادمة التي تحتها وبعض اجزاء العضلات فقد زالت وليس لها وجود والظاهر أنها ذابت من تأثير التحنيط فحلّ مكانها طبقة من الملح تشبع بها الجسد من ظاهره وهذه الطريقة تشابه الطريقة الاولى التي كانت مستعملة قبل اتقان فن التحنيط . وكان المحنطون يثبتون الفتحات بميل بحيث ان الطرفين يتصلان فلا يظهر للفتحة اثر فتجدها في كل ذراع وساعد وفخذ وساق وفي جانبي الفم والانف والعينين وفي الخاصرة اليسرى اما الفتحة السابعة عشرة التي قيل انها فوق الظهر على العامود الفقري فانها وجدت اسفل السلسلة الفقرية مقطوعة قطعاً غير منتظم ثم قال فوكيه انهُ لم يعثر على فتحة في الصدر كما نصّ عليهِ قرطاس رند اه

وقسم الدكتور (رويل Rouelle) الجثث المحنطة الى قسمين
الاول يشمل الجثث التي ليس بها فتحة في الخاصرة
والثاني الجثث التي بها فتحة (١)

(1) Etude historique et Critique des Embaumements Dr Parcelly Lyon 1891

وقال ان الجثث التي من النوع الاول كان يدخل فيها الحنوط عن طريق الشرج التي من النوع الثاني كانت تحنط من فتحة الخاصرة وعلى هذا الوجه كان في بعض الجثث الداخلة في النوع الاول انواع الراتينج العطري بخلاف الداخلة في النوع الثاني فكانت تغطى بطبقة من القار . واعلم ان جميع الجثث التي ذكرها الدكتور (رويل) كانت كاملة الاسنان والشعر والحواجب واللحى احياناً وكانت متقاطيع وجه فيها محفوظة وكل عضو ملفوف بأربطة متشبعة بالمواد الراتينجية . وكان رجلان والرأس والجثة قائمة على أعتدالها والذراعان مبسوطتين على جانبي الجثة في الرجال والاطفال ومتقابلتين فوق اسفل البطن في النساء

وظن الدكتور (رويل) ان هذه الحالة هي التي نصت عليها الديانة المصرية وانها هي التي كانت متبعة عندهم لاسيما في بعض الاقاليم المصرية . ويلاحظ احياناً ان اقارب الميت كانوا يسترون الجثة بقميص رفيع يتخذ احياناً من نسيج رقيق وعلى ذلك يجوز ان المصريين لم يتبعوا طريقة واحدة في التحنيط بل كان لكل اقليم عندهم طريق ومنهاج

وذكر في صفحة ٩٥ من مجلة المعهد العلمي المصري المطبوعة سنة ١٨٩٦ أن جثة وجدت في المقابر الملكية في جوار الدير البحري لم ير فيها فتحة في الخاصرة فاستنتج من هذا ان الميت كان مصاباً بمرض معد أو حب تحنيطهُ بغير الطريقة المتبعة في ذلك العصر . واعلم أن وضع الجثة ممتدة على طولها لم يمكن مرعياً في كل زمن إذ وجدت جثة مريتامون Merytamon بهيئة مخالفة لذلك فالرأس فيها منعطف على الكتف انعطافاً مؤلماً والصدر مرتفع أثر نزع شديد والذراعان ملتقيتان فوق الجثة من الامام بهيئة غير معهودة واليدان مشوهتان والرجل اليمنى ملتوية على اليسرى والقدمان ضامرتان ويظهر على الجثة أثر الآلام عند الوفاة

وجاء في الصحيفة ٨٧ من المجلة المذكورة لسنة ١٨٩٧ عن جثة اخرى وجدت في تابوت ابيض خالي النقوش يستدل منها انها حفظت على غير الاصول الجارية لانهُ بفحص تابوتها ظهر انهُ فتح ونزعت منهُ لفائف الجثة وان فيهِ طبقة من النطرون الابيض ممزوجة بشحم انسان يشبه في اللمس الدهن القلوي الفاسد وان تحت هذه الطبقة طبقة اخرى من الاقمشة ومن تحتها طبقة ثالثة من النطرون مبسوطة فوق الجثة نفسها وبفحص هذه الجثة لم يعثر فيها على فتحة في الخاصرة

وشوهدت الامعاء في مكانها من البدن فاستدل ذلك على ان السائل الذي حقنت به الجثة لم يرسل عن طريق الشرج بل يجور من المحنط اكتفى باحاطة الجثة بالاقمشة مستعيناً ببعض المواد الواقية واستغنى ايضاً عن مدة السبعين يوماً المقررة للتحنيط عندهم. واثبت الدكتور (وليم حروس William Gross) ان صاحب هذه الجثة مات مسموماً لان تقلص عضلات البدن والمعدة وتعبس الوجه وما ظهر عليه من تأثير الالم وانثناء الرأس وقبح الهيئة دلّ على ان الوفاة حدثت إما بالغرق او الخنق أو التسمم إذ ترى الذراعين بعيدتين عن الجسد وعلى الرجلين رباط قوي يظهر من أمره ان المحنطين حاولوا اخفاء الجريمة فشدوهُ شدًّا قويًّا

ستأتي البقية الدكتور حسن كمال

القلاع والحصون في سورية

« ١ » قلعة قبّ الياس

تمهيد في تسمية القرية — لقد نقل اكثر المؤرخين والكتبة اسم هذه القرية التي فيها القلعة المشهورة في الايام الاخيرة مجازفةً دون تمحيص وهي عادة كتّابنا ومؤرخينا الذين نرى معظمهم يعتمدون على مجرّد النقل دون عرض الحقيقة على العقل والتاريخ لتصحيح الرواية وتحقيق التسمية

ولقد افردتُ قسماً من وقتي لدرس اسماء البلدان والمدن والقرى والاماكن وما يتصل بها ولاسيما في سورية حيث نرى في التسميات آثار العبادات القديمة والاساطير الخرافية والحوادث المهمة . ففي ايام الحرب الكبرى أخذت على نفسي وضع تاريخ لسورية المجوّفة (Coele - Syria) واماكنها وعباداتها وابنيتها وهياكلها وحلّلت فيها الاسماء تحليلات توافق التاريخ والعقل ولعلي في ما وصلت اليهِ من هذه الابحاث على هدى . ولقد نشرت من امثلة هذا الكتاب مقالة (اقدم سكان سورية اللودانيون او الروثانيون) في هذه المجلة الشهيرة بابحاثها المفيدة والآن اقدم هذه المقالة الثانية للقراء لعلهم يجدون فيها لذة وتنبيهاً لطروق هذه المواضيع التحليلية

لقد رأيت اسم هذه القرية (قبّ الياس) في كتب كثيرة قديمة . على ان